



الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمدٌ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:
إلا سوريا.. ولو ثارت الدنيا كلها فلن تثور سوريا!!
نعم؛ فالقبضة الأمنية التي يملكها النظام.. بالغة الإحكام!!

وأحداث حماه مازالت عالقة في أذهان العوام.. مهما تعاقبت الأعوام..!!
هكذا قال بعض الناس.. بل هكذا اعتقاد كثير منهم..

فكم أذاق هذا النظام -في عهد الأب الظالم والابن الغاشم- أبناء الشعب السوري المُضطهد المظلوم صنوف العذاب،
 وأنواع التنكيل، وكم ارتكبوا من مجازر ومذابح دوت منها الأمة، وضج منها العالم، وسُوّدت بها صفحات التاريخ!!
وبال مقابل:

ماذا صنع هذا النظام البائس البائد فيما مضى، أو ماذا عساه يصنع فيما يجيء من أنفاسه المعدودة مع اليهود، وقد احتلوا
الأرض، وانهكوا العرض، ولا يزال عباس يصدق سيفه، ويمُن على الناس بحكاية المقاومة الأسطورية - ضد إسرائيل -
التي لا تُقاوم!!
بل والله لقد كان أشد على المسلمين وأجرأ منهم!!
وصدق القائل:

أَسْدٌ عَلَيْ وَفِي الْحَرُوبِ نَعَامٌ * فَتَخَاءُ تَنْفُرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ**

ولكن إذا قضى الله أمراً فلا راد لقضاءه، ولا مُعَقب لحُكْمِه، وإذا أراد الله شيئاً هياً أسبابه، فهو الذي يؤتي الملك من يشاء،
وينزعه من يشاء، ويملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته {إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}..
لقد قامت الثورة السورية، بينما كان دهانة النظام النصيري يزعمون أنهم أصلب عوداً، وأكثر جنوداً من أن يثور في
وجههم أحد، {وَظَلَّوْا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}.. نعم؛ لم ينفعهم مكر الليل والنهار،
وصدق الله: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بِنِيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ...}..

ومن هم هؤلاء أمام جبروت فرعون والنمرود وغيرهما من جعلهم الله أحاديث تُروى، وقصصاً تُحكى، حيث صاروا أثراً بعد عين؟!

لقد كانت الثورة السورية تسير بتقدير إلهي عجيب، فقد بدأت كأي ثورة سلمية، ولم تكن لتحظى بإجماع أو غالبية، ولو حمل الثوار حينها السلاح لفقدوا ما كان معهم من شعبية وتعاطف، فما زالوا مستمسكين بسلامتهم والنظام يطعن عليهم، وهو بذلك يفقد تعاطف الناس شيئاً فشيئاً، حتى بلغ السيل الْذِي، وضاقت السُّبُلُ، ونفذ الصبر، وتمادى هذا النظام كما هي عادته في القتل والتعذيب، ولم يكن أمام الثوار إلا الخيار الأخير، وهو حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم وأعراضهم وذويهم، فكان حالهم حينها كما قال الفائل:

إذا لم يكن إلا الأُسْنَةُ مَرْكَبٌ *** فَمَا حِيلَةُ الْمُضْطَرِّ إِلَّا رَكْوَبُهَا

وكل ذلك يجري عفواً بلا تخطيط أو تدبير مُسبق، بل يدبرهم المدبر سبحانه، ومن العجيب أن النظام الغاشم قام بإطلاق سراح سُجناء صيادنا قبل بدء الثورة بأيام، ولا يخفى كم في هذا السجن من صناديد أبطال، وأصبح منهم غالب قادة الكتائب الإسلامية التي تذيق النظام الويلات الآن وكأن الله قد هياهم لهذا اليوم، ومن يتأمل هذه المجريات وما بعدها يجد عجباً من توفيق الله لهذه الثورة، وكأنه تمثل قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ تَكْفُلُ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلَهُ)) رواه الطبراني ورواه ثقات.

وما زالت قوة المجاهدين يشتُدُّ عُودُها، وتُبرق رعدُها، وبدأ سيل الانشقاقات يتدفق، والبشائر تتحقق، وتكونت قوة لا يُستهان بها، ولو أن النظام الدولي تدخل آنذاك لكان أقرب إلى مراده في الشام، فلم تكن العقيدة القتالية في بداية الأمر موجودة لدى كثير من الثوار إلا عقيدة تحرير الوطن، ولكن تجلّى تكفلُ اللَّهِ بِالشَّامِ ثانية، فمع طول أمد الحرب رجع الناس إلى ربهم، وانقطع رجائهم إلا به سبحانه، ورفعوا شعارهم المبارك، الذي سمعه ورأه الناس: ((ما لنا غيرك يا الله))، وأكرم به من شعار، لا يخيب من رفعه صادقاً!

لقد استمر الجهاد يروي بدماء أبطال الشام شجرة العقيدة، التي تكونت لدى الغالبية المقاتلين في الميدان. إنها عقيدة: أن القتال ليس لإسقاط بشار فحسب، بل لإعادة الشام إلى مجدها التليد، وعزّها الأكيد، ومكانتها الإسلامية، وصمودها التاريخي؛ لتحكم الشام إن شاء الله بشرع الله، وشرعُ الله فحسب.

وكان الذين خرجن من سجون النظام، ومن درسوا في الجامعات الإسلامية ومحاضن العلم في شتى بقاع الأرض، وكذلك من هاجر إلى الشام للجهاد؛

كان لهؤلاء نصيب الأسد في ذلك، اعتقاداً وعملاً، وتوعيةً ودعوةً، فانتشرت هذه الفكرة انتشار النار في الهشيم، حتى لا يكاد يقاتل في الميدان حقيقةً الآن إلا من يريدها إسلامية لا مدنية، سماويةً لا أرضية، وهم - كما أسلفت - غالباً من في الميدان، على تفاوت تصوّرهم لقيام دولة إسلامية في الشام..

هذا الواقع المخيف بالنسبة للغرب وحلفائه جعله يفر للأمام ليؤخر تدخله، وهو الأمر الذي شدّ من عُود المجاهدين أيضاً ورتب صفوفهم، فأدرك الغرب حينها حتمية المواجهة التي فرّ منها في البداية، وكان قد أعدّ عدّته بتدريب جيش وطني في الأردن وبعض المناطق المجاورة؛ ليُحْكِمَهُ في الصراع إذا ما حانت ساعة الصفر!

ولقد بدأ الغرب ساعته بضربه كيماوية نفذتها استخباراته؛ ليجد مبرراً أمام الرأي العام العالمي للتدخل العسكري بأي صورة من الصور، ولا أستبعد أن يفرّ الأسد وعائلته قريباً إلى إيران ليتفرّغ الغرب إلى مقابلة عدوه الحقيقي المجاهدين في سبيل الله.

فالغرب يدرك يقيناً أنه لا وجود له ولا نجاح إلا بعد إسقاط بشار، ثم إقامة حمله واسعة ومنظمة لتشوية المجاهدين، ليفقدوا حاضنتهم الشعبية، وجماهيريتهم بين الناس، ومن أجل ذلك تنشط العربية وأخواتها -كما هو معروف- لافتعال قصص خيالية، وحكايات مختلفة، وأفلام مفبركة، وإصاقها بالمجاهدين، وأيضاً عمليات اغتيال في أوساط الكتائب الإسلامية لضرب بعضها البعض، فإذا نجح الغرب وأذنابه في ذلك لا قدر الله الكريم الرحيم سبحانه: سَهُلَّ عَلَيْهِمُ الدُّفَعُ بِالجَيْشِ الْوَطَنِيِّ بقيادة الجريء أو غيره، مع تسليحه بأنواع الأسلحة الحديثة، الثقيلة والخفيفة، وإيهام الناس بأن هؤلاء هم دعاة السلام والاستقرار، وإعادة البناء والإعمار، وهم من أهل البلد وأبناء المجتمع نفسه، فإذا أراد الناس عيشة كريمة، وعدالة وتنمية، فليقفوا مع هذا الجيش!!

بل إن العدو - ولخبرته الطويلة في هذا المكر الكبار، وكما حصل منه ذلك في حوادث سباق - لا يُستبعد أن يقوم بتعميد تلك الدعوات والدعایات عن طريق استجداء الفتاوى المعلبة من بوطينين جُدد، ليقطف ثمرة شجرة باسقة، طالما سُقِيت بدماء طاهرة زكية، لا كان له ذلك إن شاء الله..

وختاماً: هذه مناشدة لأسيادنا آساد الإسلام ورجاله:

أيها الكُماةُ الأبطالُ: إنكم قد أبلّيتم ونعم البلاءُ، وأدّيتم عدوكم البأسَ والضراءَ، والشدةَ واللاؤاءَ، فشفيتُمُواشْتيفتُمُوا

وَعَلَوْتُمُ الْعَلِيَا فَكُنْتُمْ أَوَّلًا *** وَالْأَوَّلُونَ مِنَ الرِّجَالِ قَلَّا إِلَّا
وَرَهَتْ بِجَمِيعِكُمُ السَّرَّاً وَغَرَدَتْ *** وَتَرَنَّمَتْ حَمْصُ وَغَنَّى السَّاحِلُ

وإنَّ الأُمَّةَ الْيَوْمَ تُعلَّقُ عَلَيْكُمْ آمَالًا عَرِيشَةً، وَطَمْوَحًا كَبِيرًا، وَإِنَّ مَعرِكَةَ الشَّامِ الْيَوْمَ هِيَ مَعرِكَةُ الْأُمَّةِ، وَلَهَا مَا بَعْدَهَا، نَعَمْ؛ بَلْ هِيَ إِشْرَاقَةُ الْجَهَادِ وَالْعَزَّةِ فِي هَذَا الْقَرْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَاقْطَعُوهُ الْطَّرِيقَ عَلَى الْأَعْدَاءِ الْمُتَرْبِصِينَ، وَفُوتُوا الْفَرْصَةُ عَلَى الْأَوْغَادِ الْمُتَآمِرِينَ، بَأْنَ تُتَوَجِّحُوا مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ تَضْحِيَاتٍ، وَتُكَمِّلُوا مَا صَنَعْتُمْ بِفَحْشَةِ اللَّهِ مِنْ انتِصَارَاتٍ، عَنْ طَرِيقِ تَشْكِيلِ مَجْلِسِ شُورَى عَاجِلٍ؛ يَتَمُّ مِنْ خَلَالِهِ اخْتِيَارُ رَجُلٍ تَرْضُونَهُ، كَيْ تَبَايِعُهُ جَمِيعُ الْكَتَائِبِ الْفَاعِلَةِ، وَالْفَصَائِلِ الْمَجَاهِدَةِ الْمُقَاتَلَةِ، وَتَتَّهَّدُ كَلْمَتَهَا عَلَيْهِ؛ فَقَدْ سَئَمَ النَّاسُ رِجَالَ الْفَنَادِقِ، وَأَشْرَأَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَ رِجَالِ الْخَنَادِقِ.. وَمَنْ عَسَاهُمْ سَوَّاْكُمْ!!

وَلَكُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَذَكَّرُوا جِيدًا أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْدُونَ بِالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ شَيْئًا، لَا سِيمًا بَعْدَ أَنْ عَضْتُمُوهُمُ الْحَرْبَ بِأَنْيَابِهَا، وَأَنْشَبْتُمُوهُمْ أَظْفَارَهَا وَمَخَالِبَهَا، فَهُمْ فِي الْجَمْلَةِ يَسْعَوْنَ لِلْخَلَاصِ مِنْ وِيلَاتِهَا، وَيَفْرُّوْنَ مِنْ لَفْحَهَا وَسُمُومَهَا بِأَيِّ وَسِيلَةٍ تُتَاحُ لَهُمْ، أَوْ فَرْصَةٌ تَلُوحُ أَمَامَ نَاظِرِيهِمْ!

وعليه؛ فإن المقاتل لا يكتفي بهدم صرح الباطل حتى يسعى لبناء صرح الحق شامخاً، وإنما فعل شيئاً حين يترك لأعدائه -وما أكثرهم- أن يهتبوا الفرصة، ويقطفوا ثمرة الكفاح والنضال، والجهاد والقتال، يانعة دانية، ويتربعوا على عرش النصر، كما قيل: الثبات على الباطل يضحي فيها الأنطاء، وبقطف ثمرتها الأذى!!

إن أول ما ينبغي عليكم في خضم هذه الأحوال والأهوال، أن تبادروا إلى ذلك، لتخرسوا ألسُنًا لما يسوقكم توقعات، وتقطعوا رقاباً إلى ما يضركم تطلعات..

إنكم - أيها الأشاؤس - إذا لم تقدّموا حلاً لما بعد سقوط النظام، وتُفتوّوا الفرصة على عدوكم، وتحدوّا على رجل منكم؛ خشينا أن يتقدّم الناس زُخْرَفَ قولهم، وينطلي عليهم زائف حلولهم، وحينها فلن تقبلوا أنتم أن تقاتلوا أهليكم بعد أن كنتم سلاحهم بالأمس، وكانوا ذخراً لكم وسندًا وعوناً!

أيها المحاهدون:

إن قتال عدوكم بالستان والسلاح، لا يفوق جهاد نفوسكم ولو على أثرة عليكم!

فمتى يا آساد الإسلام تعلنوها أمام القاصي والداني مدوية، فتقطعوا طريق المتسلين على نصركم، وال ساعين إلى ما يسوقكم؛ لتشفوا بذلك قلوب قومٍ مؤمنين؟!
قل عسى أن يكون ذلك قريباً..

موقع الدكتور. عبدالله بن محمد المحيسي

المصادر: